Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

سقوطها أخيرًا . ويعتذر لأخوان له فيها بأنه إذا كان قد هاجر فهو حاضر معهم بأحزانه وأشجانه :

لئن غبنا عن الإخوان إنَّا بأحزانٍ وأشجانٍ حضورُ

ويلمح إلى ما كان لطليطلة من دور ثقافى فيجىء تعبيره دقيقًا محددًا ، لا يقول إنها كانت منارة الأدب ، ولا مهبط الشعر ، ولم يكن لها هذا الدوْر ، وإنما يصفها بأنها كانت منارة العلم ، وحصن الدين ، ومهبط الإيمان ، وهى كذلك واقعًا . ويتحدث عن مناعتها الجغرافية ، ومعها كان الظن بأنها لا تسقط فى يد غاز أبدا ، وأن العدو أرغم جانبًا من أهلها على الهجرة ، وأن مساجدها أصبحت كنائس ، وأصاب كبد الحقيقة حين ألمح إلى محاولات العدو فى اجتذاب سكان طليطلة إليه بعد أن استولى عليها ، مما أوجزه **المقرى** فى جملة مبينة : « وبسط الكافر العدل على أهل المدينة ، وحبّب التنصّر إلى عامة طغامها ، فوجد المسلمون من ذلك مالا يطاق حمله » . ورغم تقريعه الشديد لأهل طليطلة عد ماوقع نذرًا من الأيام ، ولم يرجع به إلى غيبية محزنة ، تصاحب دائمًا فترات السقوط الفكرى ، والانحطاط العقلى ، وتجعل العصيان والفسوق وراء كل هزيمة ، دون تحليل النتائج وردّها إلى أسبابها العلمية المباشرة ، بل ودافع عنهم ، وذكّر من جعل المعاصى سببًا ، وأن السقوط عقوبة ، بأن غيرهم يفعل مثلهم ، وأشد منهم ، وإذن فعليهم أن يحذروا لأن الدائرة سوف تدور عليهم إذا لم يفيقوا وينتبهوا . وهو لا يضغط على هذا المعنى كثيرًا كما نجد فى القصائد الأخرى التى تجىء فيما بعد .

الشاعر أصيل فى أفكاره واتجاهه ، لأن قصيدته أوّل ما قيل فى بابها ، وليس عالة فيها على أحد سبقه ، ولا تنسحب تجربتها على أحداث أخرى مماثلة أو مشابهة ، ونلمح فيها على استحياء تصويرا عابرًا لداخله ، وتطل مشاعره الشخصية من بيت لانجد له شبيهًا عند رفاقه من بعد ، فقد أهمه الأمر وكان له معه ليل كليل امرىء القيس أو النابغة من قبل :

يطول علىَّ ليلى ، رب خطبٍ يطول لهوله الليلُ القصيرُ

وهو متمكن من أدواته ، عروضًا ولغة ونحوًا ، ليس فى قصيدته اضطراب أو ركاكة ، ولا فى إيقاعها تكلف أو إسفاف . ولكنه فيما يبدو ليس فنانًا هوايته الإبداع ،